اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

(١٦)

مجلة
المؤرخ العربى

تصــدر عن
اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

العدد الثانى | المجلد الأول | مارس ١٩٩٤

بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل

بقلم
دكتور غيثان بن على بن جريس(*)

عندما نذكر بلاد تهامة والسراة يتبادر الى أذهاننا أماكن عدة فى شبه الجزيرة العربية، ولكن ما نريده فى هذه الدراسة هى السهول التهامية والجبال السروية الواقعة بين نجران وجازان جنوبا ومكة المكرمة والطائف شمالا . والسبب الذى جعلنا نقتصر فى حديثنا على هذه المنطقة دون غيرها هو : أن مدن الحجاز الكبرى (مكة المكرمة والمدينة المنورة وما حولهما) ومدن اليمن مثل : صنعاء وصعدة وزبيد وعدن ، نالت اهتماما كبيرا من المؤلفين الأوائل فى التراث الاسلامى ، وعلى الخصوص من الجغرافين والرحالة .

أما المنطقة الواقعة بين الجزئين السابقى الذكر ، والتى أطلقنا عليها اسم تهامة والسراة ، فقد بقيت ولازالت مجهولة على مر التاريخ ، فلم يعن المؤلفون والرواة الأوائل بالحديث عنها فى مؤلفاتهم ، واذا ورد ذكرها أو ذكر جزء منها لا يرد الا لماما ، اذا قيس بما دون عن الحواضر الكبرى فى الجزيرة العربيه . لهذا السبب رأينا من الضرورى اعطاء هذه المنطقة حقها من البحث والدراسة مستعينين بكتب الجغرافيا والرحلات التى دونت فى العصر الاسلامى الوسيط . وما الجغرافيون والرحالة المسلمون الا رافدا من الروافد التى أثرت التراث الاسلامى ، حيث قضوا جل حياتهم فى الترحال والتجوال فى مختلف أقطار العالم وبخاصة الاسلامى، فكتبوا عن سهوله وجباله، وأوديته وأنهاره، وطرقه البريةوالبحرية، وأجناسه، وعناصره، وعاداته،وتقاليده، وعن سكانه وما

(*) أستاذ التاريخ الاسلامى المشارك ورئيس قسم التاريخ بكلية التربية جامعة الملك سعود ـ فرع أبها .

ينتجون من حاصلات وثمار ، وما يصدرون بواسطة الطرق البرية والبحرية ، الى الأسواق الخارجية أو المحلية ٠

وحظيت الجزيرة العربية أكثر من غيرها بوفود عدد كبير من الرحالة اليها قصد الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ ، وهم فى العادة يدونون ما يشاهدون فى رحلاتهم أثناء ذهابهم أو ايابهم لاداء فريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول ﷺ حيث كانوا يأتون من كل فج وصقع من الجهات الغربية للدولة الاسلامية كالمغرب والأندلس ، ومن الجهات الشرقية ،كالعراق وبلاد فارس ، فضلا عن بلاد الشام ومصر(١)٠وكان مما نال نزرا بسيطا فى التدوين بلاد السراة ، حيث كان للرواة من رجالها دور فى تدوين بعض المعلومات عنها ٠ وقد يقوم بعض الرحالة فى الذهاب الى بعض الأجزاء التهامية والسروية للمشاهدة والمعاينة على أرضها ، أو ربما شاهدوا بعض التهاميين والسرويين عند قدومهم الى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، حيث كانوا يتميزون فى هيئاتهم وألبستهم ٠ وكان لاتجاه الرحالة أثر كبير فى تدوين رحلاتهم ، فابن بطوطة ، على سبيل المثال ، خرج من جزيرة سواكن على شاطىء السودان ، متجها نحو اليمن ، مارا ببعض المدن الساحلية الشرقية على البحر الأحمر فدون عنها معلومات لا بأس بها(٢) ، ومنهم من تنقل بين مدن اليمن والحجاز عبر بلاد السراة كالهمذانى الذى دون هو الآخر معلومات قيمة، عن بعض الأجزاء السروية وما جاورها من المناطق ، قد لا نجدها عند غيره من الجغرافيين والرحالة السابقين واللاحقين(٣) ٠

وفى هذه الدراسة سوف يقتصر حديثنا على الجغرافيين والرحالة الذين ذكروا بلاد تهامة والسراة فى مدوناتهم فى الفترة الواقعة مابين القرنين الثالث والثامن الهجريين ٠ والسبب الذى جعلنا لم نتطرق للفترة التى سبقت القرن الثالث ، هو عدم وجود الكتب والمؤلفات التى دونها الجغرافيون المسلمون أثناء رحلاتهم الى هذه الديار فى ذلك الدور ، فلم تظهر بعض المؤلفات ظهورا واضحا الا فى العصر العباسى الثانى ، وعلى وجه التحديد فى أوائل القرن الثالث الهجرى ٠ على أن تلك المؤلفات عنيت فى المرتبة الأولى بوصف أجزاء وأقاليم الدولة

الاسلامية وما يجاورها من البلاد ، أما باقى أخبـــار رحلاتهم فكانت تتضمن أمورا سياسية واجتماعية وفكرية واقتصـــادية ومعلومات متممة للحديث عن البلد أو المنطقة التى يدونون عنها فى مؤلفاتهم ٠

وتجدر الاشارة الى أن الرحـــالة والجغرافيين الأوائل لم يرد فى مؤلفاتهم ما أوردناه عنوانا لبحثنا (بلاد تهامة والسراة ٠٠٠٠) وانما أشاروا اليها كمنطقتين منفصلتين ، وذهب بعض الجغرافيين الى أن الأجزاء الجبلية الممتدة من الطائف الى نجران جزء من سلسلة جبال السروات أو جبال الحجاز الفاصلة ما بين الأغوار التهامية الساحلية فى الغرب والأجزاء الشرقية النجدية فى الشرق(٤) ٠

وتبدأ جبال الحجاز أو السراة عنــــد الـكثير من الجغرافيين من فلسطين شمالا الى صنعاء جنوبا ٠ وهناك وجهات نظر متباينة حول طولها وعرضها ، وعن حدود الحجاز شمالا وجنوبا ، لكن الشىء الثابت أن جبال السراة لا تتوقف من جهة الجنوب فى نجران أو صـــعدة وانما تمتد الى أقصى بلاد اليمن(٥) ، ولكن ما يهمنا هو دراسة الجزء الواقع بين المنطقتين السابقتين الذكر (الحجاز واليمن) والذى سميناه (بلاد تهامة والسراة) نظرا لأن هذا الجزء لم يأخذ حقه فى التدوين ، ولم يأخذ أيضا نصيبه فى البحث عند المعاصرين ، لهذا قمنا ـ بعد التوكل على الله ـ ببذل الجهد ، لنعمل ما فى وسعنا على ابراز صـورة لاقليم السراة وتهامة ، وان اختلفت مواقع الحواصر فى تلك المنطقتين حسب ما ورد عند الجغرافيين ٠ فالبعض منهم يرى أن جميع ما يقع غـــرب السراة يسمى بتهامة(٦) ٠ واذا أخـــذنا بوجهة النظر الثابتة ، فان الأجزاء الغربية من بلاد السراة الممتدة على ساحل البحر الأحمر تعـــد جزءا من تهامة ، لهذا اسميناها بتهامة تمييزا لها عن المناطق الجبلية من السراة ٠

وممن تحدث عن بلاد السراة ابن الفقيه فى **كتابه البلدان** الذى ألفه فى القرن الرابع الهجرى حيث يقول « ٠٠٠ سراة بين تهامة ونجد أدناها بالطائف ، وأقصاها قرب صــنعاء ، والسروات أرض عالية ، وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من الشرق ، والطائف

من سراة بنى ثقيف ، وهو أدنى السروات الى مكة ، ومعدن اليرم هى السراة الثانية ، بلاد عدوان فى برية العرب وبها معدن البلور... »(٧) ويذكر ياقوت الحموى فى كتابه (معجم البلدان) معلومات جيده ، ومكملة لما ذكره ابن الفقيه فيقول « ... والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر الأحمر من الغرب وعلى نجد من الشرق ، وسراة بنى شبابه ... »(٨) ، ثم يشير الى بعض الأجزاء الواقعة الى الغرب من السروات فيورد « .. وبأسفل السروات أودية تصب الى البحر الأحمر منها : الليث ، وقنونا ، والحسية ، وضنكان ، وعشم ، وبيش ، ومركوب ، وعليب »(٩) . ويتفق كل من القزوينى وياقوت الحموى على أن أهل السراة القاطنين من الطائف شمالا حتى صعدة جنوبا من أفصح الناس لغة ، وأكثر ممن اتسمت ألسنتهم ببلاغة القول ، كهذيل القاطنة بجوار الطائف ، وبجيلة وثقيف والأزد فى وسط السراة(١٠) . وزيادة فى القول يضيف المقدسى ، من أبناء القرن الرابع الهجرى ، معلومات أكثر تفصيلا من سابقيه ، فيذكر أسماء بعض المواقع ما بين صعدة ونجران جنوبا والطائف شمالا ، حيث يقول : « القبائل تأخذ من السروات نحو أهل الشام فتقع فى أرض الأغر بن هيثم ، ثم تخرج الى ديار يعلى بن أبى يعلى ، ثم الى سردد ، ثم الى ديار عنز وائل فى بنى غزيه ، ثم تقع فى ديار جرش ، والعتل وجلاجل ، ثم الى ديار الشقرة بها خثعم ، ثم فى ديار الحارث .... ثم فى شكر وعامر ، ثم فى بجيلة ، ثم فى فهم ، ثم فى بنى عاصم ، ثم فى عدوان ، ثم فى بنى سلول ، ثم فى مطار .... »(١١) ويستدل مما ذكره المقدسى أنه ربط ما بين ذكر الأماكن الواقعة بين صعدة والطائف والقبائل القاطنة لها .

ويشير ابن المجاور ، من مؤرخى القرن السابع الهجرى ، الى معلومات تختص بالنواحى الحضارية لأهل تهامة والسراة ، لا نجدها عند غيره ، فيقول : ـ « فأما السرو فانهم قبائل وفخود من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم ، وفيهم بطون متفرقون ... »(١٢) وفى مكان آخر يتحدث عن المناطق الواقعة بين صعدة والطائف ، وبخاصة الأجزاء السروية فيذكر أن جميع تلك المناطق قرى متقاربة

بعضها من بعض فى الكبر والصغر ، ثم أن كل قرية تكون وحدة بأهلها . وكل فخذ أو بطن من البدو يقيم فى قرية ، ولا يسكن قراهم ولا ينزلها أحد سواهم(١٣) ، ثم يواصل حديثه عن تلك الأجزاء السروية وأهلها فيقول « وقد بنى فى كل قرية قصر من حجر وجص وكل واحد من أهل القرية له مخزن فى القصر يخزن فيه جميع ما يكون له من حوزة وملكه ، ولا يأخذ منه الا قوت يوم بيوم(١٤) ، ويكون أهـــل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه ، ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة ، فاذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم(١٥) ، وجميع من فى هـــذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون حراجا ، ولا يسلمون قطعة ، وكل واحد منهم مع هوى نفسه ، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طول الدهر على هذا الفن ، وجميع زرعهم الحنطة والشعير وشجرهم الكروم والرمان واللوز ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيـرات ، واكلهم الســمن والعسل ، وهم فى دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعـــون الى قحطان وغيهم من الأنساب ... »(١٦) .

وقد أورد لنا ابن المجاور ، من رحالة القرن السابع ، نصا يؤكد ما تحويه منطقة السراة من حصون ومخازن لغرض الحـــرب وتخزين المواد الغذائية عند الحاجة . وما نشاهده الآن ما هو الا رموز تدل على صحة الروايات السابقة . وقد تبين لنا فى مقابلاتنا مع كبار السن فى عدة أماكن من تهامة والسـراة حول الحصـون ومهامها أن لها مهمتين ، الأولى مهمة حربية ، والثانية أنها تعـد مستودعات لخزن الحبـــوب ، كما تبين لنا من الأقوال والمشاهدة أن البنية الاجتماعية فى تلك المناطق تعتمد على القبيلة التى تعد الوحدة الأساسية فى المجتمع ، ويعد شيخ القبيلة السيد الحاكم الذى لا ينازعه أحد فى سلطانه ، وهو الذى يعلن الحرب ، وهو الذى يطفئها مع المشايخ الآخرين . ولهذا ينعم بقية الأفراد فى المجتمع القبلى بالأمن بمقـــدار ما يمنحه الشـيخ لهم ، ويصحب الحروب عادة السلب والنهب ، وتسود شريعة الغاب ، فالقوة هى الحق . وليس الحق هو القوة .

وينتقل ابن المجاور فى حديثه عن بلاد السراة الى ذكـــر بعض الأجزاء التهامية ، فيذكر ميناء السرين(١٧) ، ويسميه بناية الفرس ، على ساحل البحر الأحمر(١٨) ، ولا ندرى لماذا وصفه بهذه الصفة ، هل لأن مبانيه وبعض سكانه كانوا من الفرس ، أم ماذا ؟ ويشير أيضا الى بلدة حلى(١٩) ، وهى تقع الى الجنوب من السرين فيقول عنها هى « بلد فيه جامع ومنـــارة ، وأول من أخـــربها غازى بن متكلان من بنى حارث الكردى فى أيام دولة سيف الاسلام طغتكين بن أيوب(٢٠) ، وبقى المكان على حاله الى أن أعاد بناءه موسى بن على بن عطية ، وهو الى الآن مالكها ، وجميع هذه الأعمال لبنى كنانة ... »(٢١) ولم يكن ابن المجاور هو الوحيد الذى انفرد بالحديث عن السرين وحلى وانما أشار المقدسى الى هاتين البلدتين وأضاف اليهما بلدتى بيش وعثر ، ثم ذكر عن السرين أنها بلدة صغيرة لها حصـــن وبها جامع ثم قال عن علاقتها ببلاد السراة أنها « فرضة السروات ، والسروات معدن الحبوب والخيرات والتمور والعسل الكثير » ثم قال عن ديار السراة « ولا أدرى هى مدن أم قرى لأنى ما دخلتها »(٢٢) ، وأشار الى حلى فى عهده بأنها مدينة ساحلية عامرة(٢٣) ، أما بيش فوصفها بطيب الهواء وعذوبة الماء ، وأشار الى أن السلطان يقتنى بها بيتا الى جانب الجامع(٢٤) ، ويذكر (عثر) فيقول : هى « ناحية جليـلة عليها سلطان يرأســـها ، ومدنها نفيسة ، وهى مدينة كبيرة طيبة مذكورة لأنها قصـــبة الناحية وفرضة صنعاء وصعدة ، بها سوق حسن وجامع عامر يحمل اليهم الماء من بعد ... »(٢٥) ويبدو أن المقدسى يمتاز بدقة المشاهدة والأمانة فى الكلمة بدليل ما ذكره عن بلاد السراة عندما قال : ـ لا أدرى هى مدن أم قرى لأنى ما دخلتها .

وفى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى يبرز أحـد الرحالة الكبار ممن ذاع صيتهم ، وهو ناصر خسرو الفارسى الذى حج أربع مرات فيما بين ٤٣٨ ـ ٤٤١هـ ، ثم كتب رحلته المعروفة بـ (رحلة ناصر خسرو) فذكر فيها بعض المعلومات عن بـــلاد تهامة والسراة ، نقـــلا من بعض الرواة ، لأنه لم يغادر مكة المكرمة والطائف صوب الجنوب ، فقال عنها « اذا غادرت مكة وسرت جنوبا ، وصلت بعد مرحلة واحدة اليمن ،

وجل السواحل الواقعة على الساحل الجنوبى هى من أرض اليمن ٠ وأرض الحجاز وأرض اليمن متصلتان ، وأهل الحجاز واليمن لسانهم العربية ، وتسمى أرض اليمن حمير ، وأرض الحجاز أرض العرب » ثم يقول فى مكان آخر « وأرض العرب تمتد من الكوفة الى مكة ، أما من مكة الى عدن فيسمى أرض حمير »(٢٦) ٠

وفى اشارة أخرى مما دونه ناصر خسرو عن هذه البلاد ، ذكر أن أرض حمير تنقسم الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول : تهامة ويتضمن ساحل بحر القلزم ، ويقع هذا الجزء فى الناحية الغــربية من أرض حمير ٠ والقسم الثانى من تهامة سماه نجدا ، ويذكر أن بهــذا الجزء مناطق شديدة البرودة ، ومضائق جبلية ، وحصونا محكمة ٠ أما القسم الثالث من تهامة ، فعلى حد قوله ، يقع الى الشرق من الجزئين الأولين ، ثم يذكر بعض حواضر ذلك الجزء مثل نجران وبيشة ، بل ويذكر أن بهذا الجزء قرى كثيرة ، وبوادى شاسعة ، كما أن فى كل بادية حاكما مستبدا لا يخضع لأية سلطة مركزية ٠ ثم يشير الى أن مساحة هذا الجزء من تهامة مائتا فرسخ طولا فى مائة وخمسين فرسخا عرضــا ، ثم يقــول « ويكثر السكان فى هذا الجزء الشرقى من تهامة »(٢٧) ٠

أما قول ناصر خسرو «اليمن وموقعها» فلعله يقصد حدودها من جهة الشمال على بعد مرحلة واحدة من مكة المكرمة صوب الجنوب ٠ ومسمى اليمن مثار نقطة خلافية عند الجغرافيين والرحالة ٠ حيث يرى غير ناصر خسرو أن المقصود باليمن اليمن السعيد الذى يعود بأســمه الى كثرة انتاجه ، وهو يضم الحواضر الكبرى فى اليمن ، كصنعاء ، وصعدة ، وزبيدة وغيرها ٠ هذا فى حين قال بعض الجغرافيين أن كل ما يقع جنوب الكعبة فهو يمن ٠ ولكن الرحالة ناصر خسرو لم يقف عند حد القول بهذا القول فقط ، وانما أردف تسمية أخرى لليمن زيادة فى الايضاح ، فسمى كل ما يقع جنوبى مكة ببلاد حمير ، وسمى أرض الحجاز (مكة المكرمة والمدينة المنورة) بأرض العرب ، وهذا رأى لا نتفق معه فيه ، لأن حمير جزء من العرب ، ثم ان فى عهده بعض قبائل حمير كانت تقطن المناطق الواقعة ما بين صنعاء ونجران وربما الى بيشــة ٠ أما غالبية المنطقة

الممتدة من مكة المكرمة والطائف شمالا وحتى جازان ونجران وصعدة جنوبا فمعظم سكانها من القبائل العربية الازدية المختلفة فى البطون والعشائر ، الى جانب قبائل عربية مضرية نزحت من المراكز والمناطق الواقعة فى شمال الجزيرة العربية ووسطها والممتدة الى جنوبها .

أما أرض حمير ، فى رأى ناصر خسرو ، فتقسم الى ثلاثة أقسام ، وهذه الأقسام الثلاثة هى المسماه عنده بتهامة . وحقيقة القول ، ان اسم تهامة لا يشمل الا الجزء الأول ، أما القسمان الاخريان فهما من بلاد السراة ، وبخاصة الثانى . أما الثالث فهو منطقة النجود والبوادى الواقعة فى الأجزاء الشرقية من بلاد السراة . واشار خسرو الى كثرة القرى بالأجزاء الشرقية ، والى استبداد شيوخ القبائل فى ذلك الجزء وهو بذلك يؤيد ما أشار اليه ابن المجاور فى أوائل القرن السابع الهجرى.

ويشير بعض الجغرافيين الى الحياة الاجتماعية عند بعض السروية أو التهامية فيذكر ابن المجاور عن لباس النساء فى بلدتى السرين وحلى وما حولهما ، فيقول « ليس يلبس نساؤهم الا الأدم ، وذلك ان المرأة تأخذ طاقتين من قديم تخيط بعضه الى بعض ثم تلبسه »(٢٨) ويتكلم فى مكان آخر عن نساء الأجزاء التهامية الساحلية ، فيشير الى أن مصاغهم (النحاس) والرصاص ، وجواهرهم الودع(٢٩) ، بل ان المرأة تطيل شعرها ، وتدهنه بالدهن ، وتغسله بالسدر ، فاذا طال ضفرته الى ضفيرتين طويلتين(٣٠) . ولكثرة الجلود ودباغتها فى كل من صعدة ونجران وجرش ، كانت تستخدم لباسا للجسد ، أو غطاء أثناء الليل ، بل وتصنع منها النعل وأدوات أخرى عديدة(٣١) . ومن الألبسة التى كان يلبسها أهل تهامة والسراة بعض الملاحف ، والأقنعة ، والجباب والبرد التى كانوا يجلبونها من الأسواق الكبيرة فى حواضر الحجاز واليمن(٣٢) ، كما يلبس الرجال والنساء ألبسة سميكة خاصة فى الحواضر الجبلية ذات المناخ البارد ، حيث يؤتى بهذه الألبسة من عدن أو من بعض المراكز الحضارية فى بلاد مصر أو الشام أو بلاد فارس والعراق .

ويذكر ابن المجاور بعض العادات التى كانت جارية بين أهل تهامة والسراة ، حيث كان الرجال يخضبون أيديهم وأرجلهم مثل النســاء فى مناسبات الأعياد والزواج وغيرها(٣٣) . كما ذكر عن السرويين بعض العادات فى الجنائز فقال : « وأهل السراة يرثون البنت عند الموت ... وللقوم عصبية عظيمة اذا مات أحد لا يحمل جنازته الا الشبان ، ومع ذلك يقولون : سلم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضى ! وهم يتداولون بالنعش الى المقبرة ، وهم الذين يحفـرون القبــر ... »(٣٤) ومن أطعمتهم اللحم ، والسمن ، والخبز ، ومن أكثر الأسماء شيوعا بينهم سالم ، وغانم ، وقاسم ، ومفرج ، ومفرح ، وراشد وناجى ، وجابر ، ولاحق وصابر ، وسعيد ، ومساعد ، وظافر ، وفاتك ، ومالك ، وغيرها أسماء كثيرة(٣٥) . ومن حسن اهتمامهم بالضيف أنه اذا أطعم لص أو قاتل ، زاد صاحب البيت ، فانه لا يقتل الا بعد خـــروجه من البيت ، ويكون ذلك بعد مـــدة من الزمـــن حتى ينتهى مفعـــول الزاد الذى أكله(٣٦) . ويشـــير ابن المجـــاور الى بعض عـــادات السرويين فى الكرم ، خاصة ممن تغلب عليهم البداوة ، حيث يؤخـــرون الغداء أو العشاء من أجل ضيف يقدم عليهم ، فان حصل ذلك ، ينحر له على قدر مكانته ، فقد ينحر له جمل ، ويقدم له رأس الجمـــل ، وان كان عابر سبيل يذبح له شاه ، ويكسر صـــاحب الدار الرغيف الى ثلاث أو أربع كسرات يضعهن أمام الضيف تكريما له ، ثم يقدم له اللحم المطبوخ بعد أن يثرد عليه الخبز ، ويهرق عليه السمن أو المرق ، فيشرب بادىء الأمر المشروب ، ثم يوزع اللحم على الثريد ، وقد يطلق ، أحيانا ، على هذا الصنف من الطعام اسم العربية(٣٧) . ومن عادات السرويين أيضا أن يكون فى مخزنهم صنفان من الحبوب ، ذرة وقمح ، يقدم خبز القمح للضيف ،وخبز الذرة للأسرة ، وهذا السلوك ينم عن ايثار الضيف وتقديمه على الأهل . وما قصة الرجل الذى ينحر بعيره لضيوفه ، أو يقدم لهم أفضل ما لديه وهو فى حالة الفقر الا دليل واضـــح على أعلى مراتب الايثار ، وفى هذا يقول الشاعر :ــ

الجـــود طبعى ولكن ليس لى مـــال
وكيف يصنع من بالقـــوت يحتـــال

(مجلة المؤرخ العربى)

فهاك خطب الى أيام ميسرتى
دينا على ولى فى الغيب آمال

واشارة ابن المجاور وناصر خسرو الى أن بلاد تهامة والسراة كانت تحكم بشيوخ القبائل المستقلين بسلطتهم فى ديارهم ، قول نوافقهما عليه من حيث المبدأ ، ومن حيث المركز الاجتماعى الذى تحقق لشيوخ القبائل العربية على مر التاريخ قبل الاسلام وبعده(٣٨) ، ولكن فيما عرف فى ظل الدولة الاسلامية ، وبخاصة بعد انتقال الخلافة من الحجاز الى بلاد الشام ثم العراق فى العهدين الأموى ثم العباسى ، ان شبه الجزيرة العربية تحول الى عدة ولايات تابعة لمركز الخلافة . ومن أكبر ولايات شبه الجزيرة منطقتى الحجاز واليمن،وبخاصةالأجزاء التى تشمل الحواضر الحجازية واليمنية الكبرى،وظلت المنطقة الواقعة بين المنطقتين السابقتين ، والتى هى محور دراستنا فى هذا البحث ، تابعة فى أغلب الأحيان لوالى الحجاز ، الذى اتخذ مكة المكرمة أو المدينة المنورة مقرا له(٣٩) . ومن الواضح فى بعض كتب التراث الاسلامى ، وبخاصة كتب الجغرافيا والرحلات ، ان منطقة تهامة والسراة كانت مقسمة الى مناطق أو مراكز حضرية ، أطلق على كل قسم اما مخلاف ، أو عمل وجمعه أعمال أو كورة وجمها كور(٤٠) . فاليعقوبى تحت عنوان سماه (مكة وأعمالها) قام بتعديد أجزاء عديدة تابعة من الناحية الادارية الى والى مكة المكرمة ، ومن تلك الأعمال الواقعة الى الجنوب من مكة والطائف ذكر ما يلى فى الأجزاء السروية :« تبالة وأهلها خثعم ، النجران لبنى الحارث بن كعب كانت منازلهم فى الجاهلية ، والسراة وأهلها من الازد(٤١)» . وفى الأجزاء التهامية أشار الى عشم ، وذكر أنها معدن الذهب ، وبيش ، والسرين ، والحسبة ، وعثر ، وكل هذه المناطق تقع على ساحل البحر الأحمر ما بين مكة المكرمة شمالا وجازان جنوبا(٤٢) . وفى موضع آخر ذكر أن لليمن أربعة وثمانين مخلافا ، وأغلبها حول حواضر اليمن الكبرى ، ولكنه أورد بعض الأجزاء التى تقع ضمن نطاق دراستنا ، كجرش فى بلاد السراة ، وبيش ، وقنونا ، ويبه ، وضنكان ، والعرش من جازان فى الأجزاء التهامية(٤٣) . ويورد ابن خرداذبة بعض الايضاحات عن مخاليف مكة المكرمة ، فيذكر أن

الطائف ، وعكاظ ، وبيشة ، وتبالة ، وجرش ، والسراة ، ونجران فى الأجزاء السروية ، وضنكان ، وعشم ، وبيش فى الأجـــزاء التهامية ، وجميعها تابعة لامارة مكة المكرمة أو الحجاز بشكل عام(٤٤) ٠ ويخالف المقدسى اليعقوبى وابن خرداذبة فى بعض ما ذكر حيث يورد أن نجران ، وجرش ، وتربة ، والسراة فى الأجزاء الجبليـــة ، وبيش ، وعثر ، وحلى ، والسرين من مخاليف اليمن(٤٥) ٠ ولـــكن الادريسى يخالف المقدسى ويتفق مع اليعقوبى وابن خرداذبة فيقـــول عن بعض مخاليف مكة ، وبخاصة الواقعة بين الطائف ونجـــران « ولمكة مخاليف وهى الحصون فمنها بنجد الطائف ونجران٠٠٠ وتربة وبيشة وجرش والسراة ثم يضيف ضنكان ، والسرين ، وعشم ، وبيش فى الأجزاء التهامية(٤٦) ٠ وفى ضوء هذه الأقوال نستطيع القول أن بلاد تهامة والسراة كانت فى الغالب تابعة لولاية مكة المكرمة ، بل لقد أثبتت بعض الروايات التاريخية ، أن والى الحجاز كان فى بعض الأحيان يمنح تعيينا من الخليفة يتضـــمن ولايته على الحجاز واليمن معا ، وأحيانا أخـــرى تضاف له ولاية بلاد اليمامة الى جانب المنطقتين السابقتين(٤٧) ٠ أما المنطقة التى تقع بين الحجاز واليمن ، والتى أطلقنا عليها اسم (تهامة والسراة) فبدون شك كانت تتبع اداريا والى مكة المـــكرمة من حيث دفع الزكاة الى بيت مال المسلمين ، وبالتالى الولاء للخلافة الاسلامية ٠ لكن الذى لا شك فيه هو ما أشـــار اليه ابن المجاور وناصر خسرو من حيث اضطراب الأمن وانتشار الفوضى بين أهل هذه البلاد واستفحال القلاقل بين سكانها ، بل ان شيوخ القبائل كانوا أقـــوى عنصر فى المجتمع فكانوا أصحاب الحل والعقد ، واليهم تؤول جميع الأمور الخاصة بأبناء مجتمعاتهم ، فضـــلا عن العلاقات الخارجية بينهم وبين غيرهم من خارج حدود منطقتهم ٠

ولم يكن سكان أهل تهامة والسراة منغلقين على أنفسهم ، بل كان بعضهم يسافر الى حواضر شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة مدن الحجاز الكبرى ، فيعملون بالتجارة ، ويؤدون الحج والعمرة ، بل لقد امتلك بعضهم الدور والعقار(٤٨) ٠ وقـــد ذكر لنـــا الجغرافيون والرحـــالة المسلمون الأوائل بعض المعلومات القيمة التى تؤكد ذهاب اعداد كبيرة

من السرويين الى مكة المكرمة من أجل أداء الشعائر الدينية ، والمتاجرة فى بعض سلعهم التى يجلبونها معهم من بلادهم الى أسواق مكة أثناء مواسم العمرة فى رجب ورمضان وفى موسم الحج . وأول من شاهدهم ودون لنا ملاحظاته عنهم فى أسواق مكة المكرمة ، الرحالة الفاسى ناصر خسرو خلال القرن الخامس الهجرى ، حيث أشار الى كثرتهم فى مكة أول رجب من كل ستة ، وفى عيد الفطر ، وفى موسم الحج(٤٩) . وفى القرن السادس الهجرى وبداية القرن السابع زار مكة المكرمة رحالة أندلسى ، هو محمد بن جبير ، فوصف أحوال السرويين الذين يأتون من من بلاد السراة الى مكة المكرمة ومعهم قوافل الأرزاق ، والفواكه والتمر ، فأبدى سروره واعجابه بذلك ، ووصف أولئك القوم البسطاء ، حسب ما شاهدهم ، بالشجاعة ، والنجدة ، والمرؤة(٥٠) . ويؤكد الرحالة ابن المجاور ما أورده كل من ناصر خاسرو وابن جبير ، فيشير الى أن السرويين اذا دخلوا مكة المكرمة ملئوها بالحنطة ، والشعير ، والسويق ، والعسل ، والذرة ، والدخن ، والزبيب ، واللوز ، وما يشابه ذلك . ولذلك يقول أهل مكة « حاج العراق أبونا تكسب منه الذهب ، والسرو أمنا تكسب منه القوت »(٥١) . وعندما زار ابن بطوطة مكة المكرمة فى القرن الثامن للهجرة ، شاهد السرويين فى أسواقها يبيعون ويشترون ، وشاهدهم يطوفون حول الكعبة يؤدون الحج أو العمرة ، وقد أورد فى رحلته نبذا مما شاهده فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فقال : ـ « ... ويجلبون الى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب واللوز فترخص الأسعار بمكة ، ويرغد عيش أهلها وتعمهم المرافق . ولولا أهل هذه البلاد ـ ويقصد أهل السراة ـ لكان أهل مكة فى شظف من العيش . ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم ، ولم يأتوا بهذه الميرة أجدبت بلادهم ، ووقع الموت فى مواشيهم ، ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم ، وظهرت فيهم البركة ونمت أموالهم . فهم اذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها ، اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم ، وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين . وبلاد السرو مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات ، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد . وهم اذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لائذين بجوارها ، متعلقين بأستارها ، داعين بأدعية تتصدع

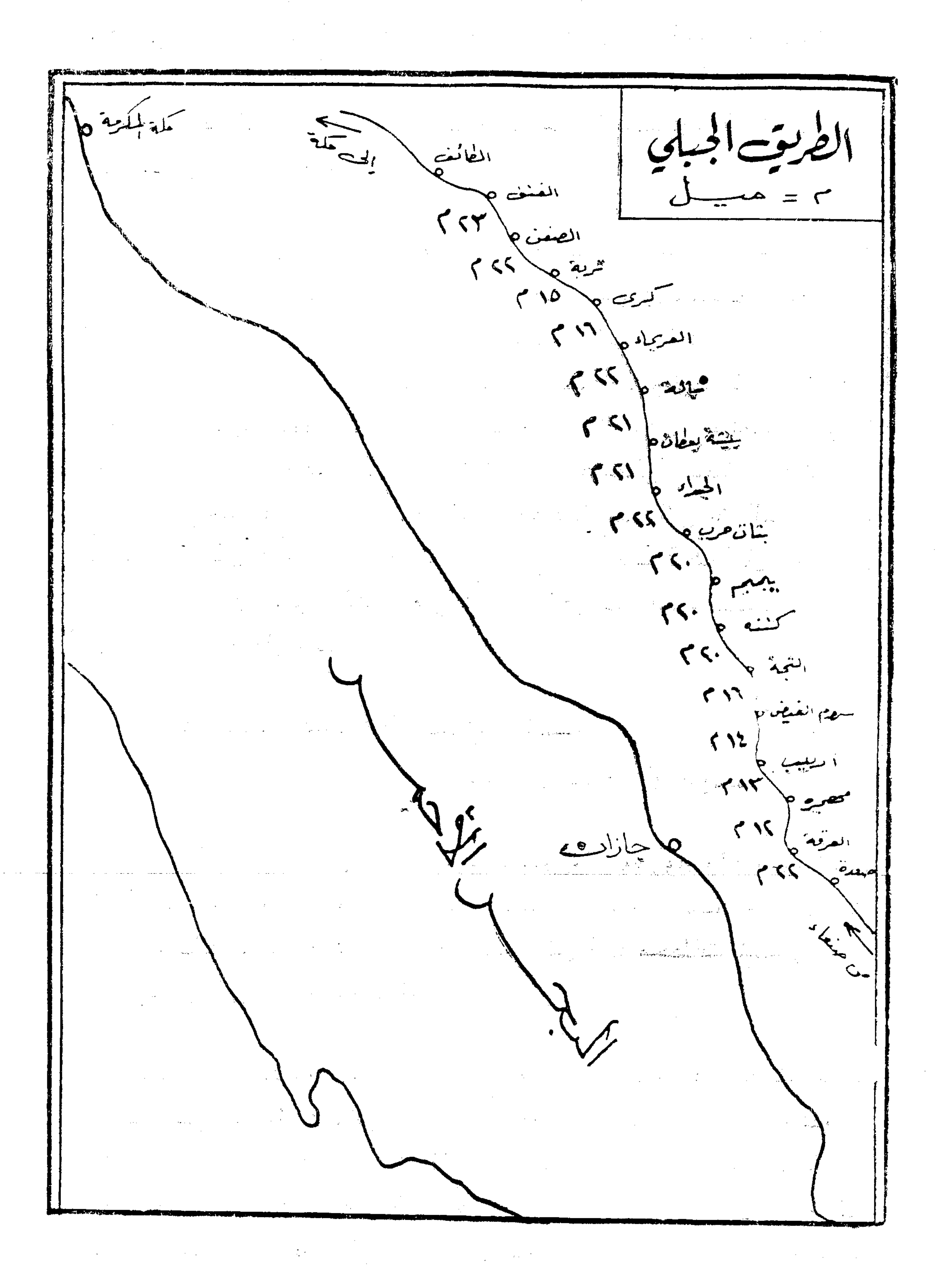
لقوتها القلوب ، وتدمع العيون الجامدة فترى النـــاس حولها باسطى أيديهم ، مؤمنين على أدعيتهم ، ولا يمـــكن غيرهم الطـــواف معهـــم ، ولا أستلام الحجر لتزاحمهم على ذلك • وهم شـــجعان أنجاد ولباسهم الجلود ، واذا وردوا مكة هابت أعـــراب الطـــرق مقدمهم ، وتجنبوا اعتراضهم ، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم»(٥٢) وليس ابن بطوطة هو الذى أنفرد بهـــذه الصـــفحات بل ذكـــرها بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة ، فأثنوا على خصوبة تربة السراة وكثرة خيراتها ، وعلى ما تحلى به أهلها من السلوك الجيد والقيم الطيبة(٥٣) • كما أشار الى فصاحة ألسنتهم وخلوها من اللحن كل من الهمـــذانى وابن جبير والقزوينى(٥٤) •

وكانت الصلات فيما بين أهل تهامة والسراة وجيرانهم مســـتمرة ودائمة لوجود الطرق التى تربط حواضر اليمن (صنعاء ، وصعدة ، وزبيدة ، وغيرها) بحواضر الحجاز (مـــكة المـــكرمة ، والطائف ، وجدة ، والمدينة المنورة) • ومن الطبيعى أن تلك الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز لابد وأن تمر بمحطات ومراكز حضارية فى منطقة تهامة والسراة المعنية فى هذه الدراســـة • وبعد البحث فى كتب الرحـــالة والجغرافيين الأوائل ، وجدنا غالبيتهم تشـــير الى طريقين أســـاسيين ، الأول الطريق التى تخرج من مكة المكرمة حتى الطائف ، ثم تأتى عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السراة حتى تصل الى صعدة ثم صنعاء ، والثانى يخرج من مكة المكرمة عبر الساحل حتى تصل الى بلد العرش فى جازان ، ثم تواصل السير الى بلدة زبيد فى اليمن • ومن الجغرافيين الذين أشاروا الى هـــذين الطريقين ، وبخاصـــة الطـــريق الجبلية السروية ، ابن خرداذبة(٥٥) ، وقدامة(٥٦) ، والحـــربى(٥٧) ، واليعقوبى(٥٨) ، والهمذانى(٥٩) ، والمقدسى(٦٠) ، والادريسى(٦١) ، وجميع كتبهم أجمعت على أسماء أغلب المحطات التجارية الهامة الواقعة بين صعدة والطائف فى الأجزاء السروية ، ونوعا ما على المحطات الواقعـــة على الطريق الساحلى بين مكة المكرمة وجازان(٦٢) ، ولهذا آثرنا الاعتماد على كتاب الهمذانى (صفة جزيرة العرب) لنذكر المحطات على هذين الطريقين مع ارفاق رسم بيانى بهما • والسبب الذى جعلنا نعتمد على

الهمدانى دون غيره من المصادر التى ذكرنا والتى أشارت الى هـــذين الطريقين ، هو معرفته القوية ببلاد شبه الجزيرة العربية ، فلقـــد ولد وعاش أغلب حياته فى بلاد اليمن ، ثم أنه سافر عـدة مرات من حواضر اليمن الى حواضر الحجاز ، بل وكانت مهنته فى شبابه جمالا يذهب مع التجار الذين كانوا يذهبون ويأتون ما بين الحجاز واليمن ، ولهذا لابد أن يكون للجغرافيين والرحـــالة معرفة بأحـوال ومحطات وأطوال الطرق الواصلة بين مدن الحجاز ومدن اليمن والمارة ببلاد تهامة والسراة، الى جانب أنه الجغرافى الوحيد الذى رسم لنا طول الطريق الجبلى الذى يأتى من صنعاء الى الطائف ثم مكة المكرمة ، فذكـــر المسافات بين كل مرحلة وأخرى بالأميال ، ومثل هذه الأسباب تجعلنا فى عداد المتصفين اذا أعتمدنا على كتابة صفة جزيرةالعرب فى ذكر محطات هذين الطريقين الواصلين بين الحجاز واليمن،مع العلم أننا لن ننسى ماذكره الجغرافيون الآخرون عن رخاء بعض المحطات التى كانت على طول الطريقين .

ويشير الهمدانى الى خروج الطريق الجبلى من صنعاء الى صعدة مع ذكر الأطوال بين هاتين المدينتين ، ثم يورد قوله : ـ « من صعدة الى العرفة اثنان وعشرون ميلا، ومن العرفة الى المهجرة اثنا عشر ميلا ،ومن المهجرة الى أرينب ثلاثة عشر ميلا ، ومن أرينب الى سروم الفيض أربعة عشر ميلا ، ومن سروم الفيض الى الثجة ستة عشر ميلا ، ومن الثجة الى كتنة عشرون ميلا ، ومن كتنة الى يبمبم عشرون ميلا ، من يبمبم الى بنات حرب عشرون ميلا ، ومن بنات حـرب الى الجســداء اثنان وعشرون ميلا ، ومن الجسداء الى بيشة احدى وعشرون ، ومن بيشــة الى تبالة احدى وعشرون ميلا ، ومن تبالة الى القريحاء اثنان وعشرون ميلا ، ومن القريحاء الى كرى ستة عشر ميلا ، ومن كــرى الى تربة الى الصفن اثنان وعشرون ميلا ، ومن الصفن الى الفتق ثلاثة وعشرون ميلا»(٦٣) (انظر الخريطة رقم (١)) .

أما طريق الساحل فلم يشر الهمـــدانى فيه الى المســافات بين المحطات ، وانما ذكر الطريق القادم من مــدن اليمن الكبرى حتى بلد


الطريق الجبلي
م = ميل
الى مكة
الطائف
٢٣ م
٢٢ م
ثربة
١٥ م
كرى
١٦ م
٢٢ م
٢١ م
يبشة يعطان
٢١ م
الجراء
٢٢ م
بنات حرب
٢٠ م
يسيم
٢٠ م
كنه
٢٠ م
النجة
١٦ م
١٤ م
١٣ م
صعيرة
١٢ م
العرقة
٢٢ م
صعدة
من صنعاء
جازان
البحر الأحمر

حكم فى جازان ، ثم الى الهجر ، فعثر ، فبيض ، فزنيف ، فضنكان ، فالمعقد ، فحلى ، فالجو ، فالجوينية ، فنونا ، ثم دوقة ، فالمسرين ، فالمعجر ، فالخيال ، فيلملم ، فملكان ، فمكة المكرمة(٦٤) (انظر الخريطة رقم (٢)) ٠

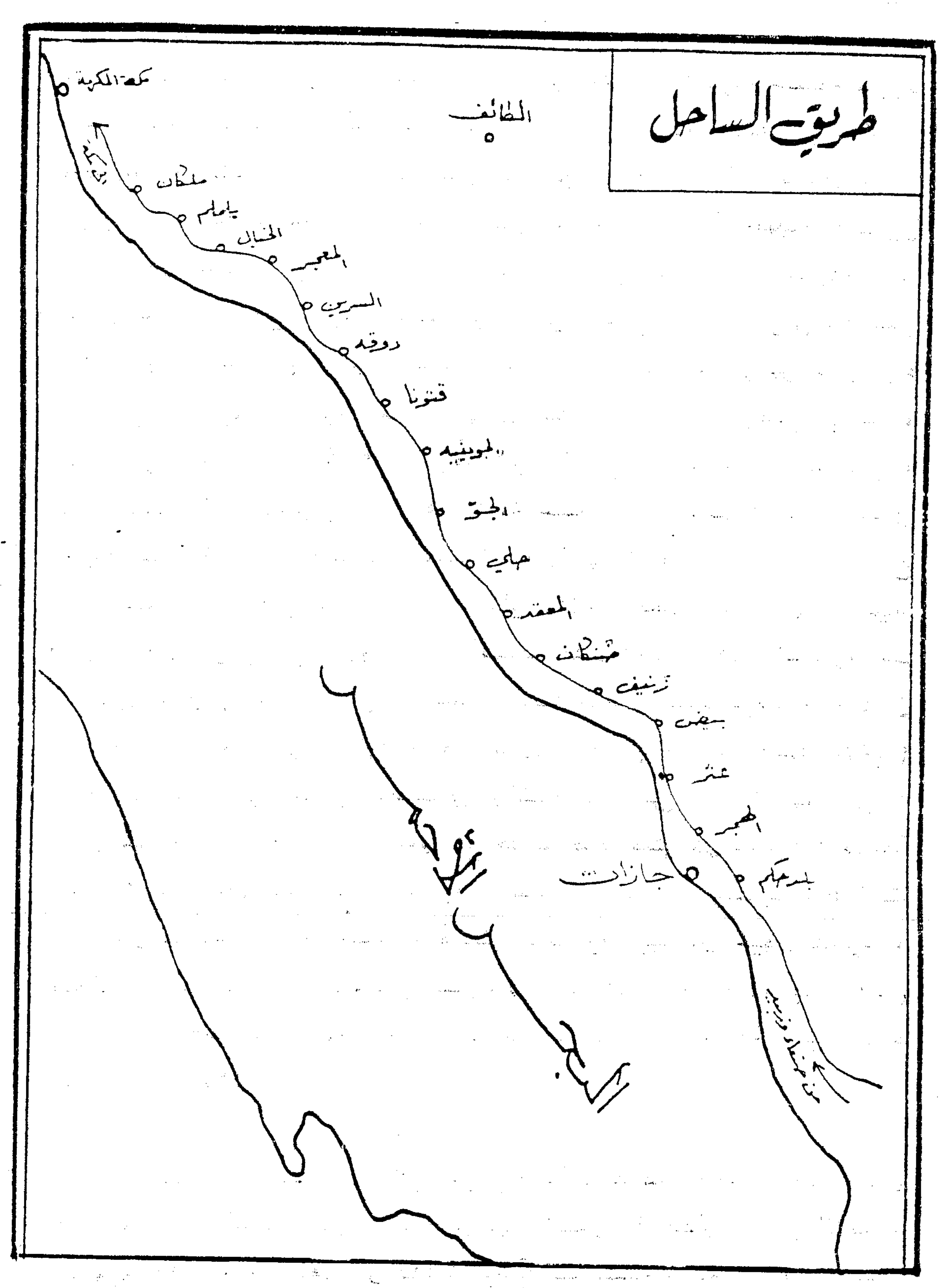
ويتحدث ابن خرداذبة ، وقدامة ، والادريسى عن الطريق السروية التى تربط بين الطائف شمالا وحواضر اليمن الكبرى جنوبا ، والتى كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن ، فكانت تستخدمها الجيوش أثناء ذهابها وايابها ما بين البلاد الحجازية واليمانية ، بل وكان يستخدمها التجار وموظفو الدولة ، كالأمراء والقضاة ، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم ٠ ولهذا فقد أشاروا الى رخاء بعض المحطات التجارية التى كانت على طول الطريق ، فابن خرداذبة أشار الى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان ، أما تبالة وبيشة فذكر أنهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشىء الكثير وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور الهلالى حيث يقول : ـ

اذا شئت عنتنى بأجزاع بيشة

الى النخل من تثليث أو بيبمبما

وواصل حديثه عن الجسداء وبنات حرب ، وسروم راح التى أطلق عليها الهمدانى سروم الفيض ، والتى تقع الى الشرق بثمانية أميال من جرش ، فذكر تعدد الآبار بها ، وأشار الى أنها محطات تحتوى على قرى وسكان من عشائر مختلفة(٦٥) ٠

ويورد لنا قدامة معلومات أكثر دقة من ابن خرداذبة حيث عدد الأماكن التى ذكرها الهمدانى ، وأعطى بعض الأوصاوف الحضارية لبعض تلك المحطات فقال « ٠٠ ومن الفتق الى تربة ، وهى قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهى قرية خالصة مولاة المهدى ، ومن تربة الى صفر ، وهى منزل فيه داران لصاحب البريد فى الصحراء ، وفيه ماء عذب من بئرين ، ومن صفر الى كرى ، منزل فيه نخل وعين عذبة


طريق الساحل
مكة المكرمة
الطائف
ملكان
يلملم
الخبال
المعجر
السرين
دوقة
قنونا
الجوينيه
الجوة
حلي
المعقد
مشكان
زنيف
بيض
عثر
الهجر
جازان

شكل (٢)

وليس الا منزل لصاحب البريد ، ومنزل القوافل ، وهى فى بطن واد كثير النخل ، ومن كرى الى رنية ، منزل فى صحراء ، ونخل وعين عظيمة عذبة ، والعمران حولها ، ومن رنية الى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس ، وفيها منبر وعيون وآبار ، ومن تبالة الى بيشة ، قرية عظيمة كثيرة الأهل فى بطن الوادى ، ظاهرة الماء من عيون وآبار ، مضرية قيسية ، ومن بيشة الى الجسداء ، قرية عظيمة ، منزل اعراب من قيس ، ومن جسداء الى بنات حرب ، قرية عظيمة فيها منازل كثيرة وزروع ، ومن بنات حرب الى ييمبم جرش نحو أربعة عشر ميلا ، ومنه الى كثبه قرية عظيمة ، ومنازل وقصور وآبار فى صحراء بينها وبين جرش ثمانية أميال ، ومن كثبه الى الثجه موضع البريد ، وفيه بئر ماء ينزله القوافل ، وهو فى بلاد زبيد ، وحوله اعرابهم ، ومن الثجه الى سروم راح ، وهى قرية عظيمة فى صحراء فيها عيون كثيرة الكروم ، فيها فخذ من همدان يقال اهم جنب ، ومن سروم راح الى المهجرة ، وهى قرية عظيمة جبلية كثيرة العيون والأهل ، وفيما بينها وبين شروم راح شجرة تسمى طلحة الملك(٦٦) وهذه الشجرة حد ما بين اليمن والحجاز ، وهى شجرة تشبه شجرة الغرب ... ومن المهجرة الى العرقه وهى أول عمل اليمن ، وهى الى عمل صعدة(٦٧) ويتعرض الادريسى لنفس الطريق والمحطات التى ذكرها الهمدانى ، وابن خرداذبة ، وقدامة ، ويتفق مع قدامة فيما ذكر عن شجرة (طلحة الملك) التى قيل أنها كانت الحد بين الحجاز واليمن ، ويضيف معلومات أكثر عن مدينتى تبالة وبيشة ، فيذكر تبالة وما بها من عيون كثيرة ، ومزارع ، ثم يقول : ـ « وهى صغيرة فى منخفض اكمة » أما بيشة فهى أيضا مدينة صغيرة متحضرة جيدة المساكن ، حسنة البقعة ، وبها ماء ونخل كثير(٦٨) .

ويلاحظ على ما ذكر الأدريسى وقدامة وغيرهما رخاء بعض المدن التى تقع على قارعة الطريق الواصل بين اليمن والحجاز ، عبر الأجزاء السروية(٦٩) ، مع العلم أن قدامة أوضح لنا نقطة مهمة ، وهى وجود محطات للبريد ، ودور خاصة بالأعمال البريدية . ومما يؤكد قوله أن خلفاء المسلمين الأوائل ، وخاصة الأول من بنى العباس ، نشطوا البريد

الذى كان يربط أجزاء شبه الجزيرة العربية بعاصمتهم فى مدينة بغداد ، فكانوا يأمرون باصلاح الطرق التى يرتادها بريد الخلافة ، ويزودون عمال البريد بكل ما يحتاجون اليه من زاد ورواحل ، ووسائل بريدية أخرى (٧٠) ، ولهذا فالطرق الجبلية الواصلة بين اليمن والحجاز كانت من أهم الطرق ، بل وفى بعض الأحيان كان يطلق عليها طريق السلطان، ولذا فلابد وأنها حظيت ببعض الاصلاحات لأجل استخدامها من قبل جيوش وموظفى الخلافة العباسية فى بغداد (٧١) .

ويلاحظ اختلاف بسيط بين ما ذكره قدامة والهمدانى حيث عدد الأخير المحطات الواقعة فى الأرض السروية القريبة من الطائف ، ومنها الى جهة الجنوب ، فذكر الفتق ثم الصفن ، ثم تربة ثم القريحا ، ثم تبالة الى أن ذكر كتنة ، فالثجة ، ثم سروم الفيض ، واستمر تعداده على باقى المحطات حتى وصل صعدة (انظر الخريطة رقم (١)) . اما قدامة فلم يسلك نفس الترتيب فى ذكر المحطاتوانما ذكر مدينة تربة بعد الفتق، ثم قال : ـ « ومن تربة الى صفر » فكلمة صفر هنا ربما أنها صحفت من اسم الصفن الذى ذكره الهمدانى ، والتصحيف كثيرا ما يرد فى كتب التراث اما التقديم والتأخير فى ذكر المحطات فنميل الى قول الهمدانى لنفس الأسباب التى ذكرناها سابقا ، والتى جعلتنا نعتمد على كتابه (صفة جزيرة العرب) . وذكر محطة كثبة عند قدامة وكتنة عند الهمدانى ربما نتج عن قلب التاء ثاء ، وهذا كثيرا ما يحدث عند الكتاب أو النساخ ، وسروم القبض عند الهمدانى أو سروم راح عند قدامة انما تعنى منطقة واحدة تقع الى الجنوب من محطة الثجة التى أشار اليها كل من الهمدانى وقدامة . أما الاشارة الى شجرة طلحة الملك بأنها الحد بين اعمال الحجاز واليمن فهذا مما يؤكد أن نفوذ الوالى فى الحجاز كان يمتد جنوبا الى المناطق القريبة من شمالى مدينتى بجران وصعدة .

وبعد الاشارة الى ما سبق ذكره نجد أن الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل حفظوا لنا بعض المعلومات الحضارية القيمة عن بلاد تهامة والسراة ، ولكن الذى استطعنا الحصول عليه فى هذه الدراسة لا يكاد يفى بالغرض ، فلا زالت أوضاع هذه المناطق المعنية مجهولة ،

مع العلم أنها من أغنى أجزاء شبه الجزيرة العربية بكثافة أشجارها ، وتنوع خيراتها ، وكثرة سكانها ، وصفاء هوائها ، وكثرة أمطارها ، الى غير ذلك من الصفات الملائمة لخلق ظروف مناخية واجتماعية مناسبة للعيش فيها ، وقد يقيض الله من أبناء هذه البلاد ، من يستكمل أو يعثر على مالم نستطع استكماله أو العثور عليه ، أو من يصوب ماقد أخطأنا فيه • ورغم أن جهدنا جهد المقل ، الا أننا نرى فيه بداية عمل لبحوث أخرى فى المستقبل ، وكل ما نرجوه التوفيق والسداد ، والله من وراء القصد •

« الضميمة الأولى »

أسماء محطات الطريق الساحلى التى وردت فى أغلب المصادر التى استقينا منها بحثنا •

الهمدانى	اليعقوبى	الادريسى	ابن قدامة	ابن خرداذبة
ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان	ضنكان
حلى	—	حلى	حلى	حلى
قنونا	قنونا	قنونا	—	قنونا
دوقه	—	دوقه	—	دوقه
—	عليب	عليب	عليب	عليب
—	الليث	—	الليث	الليث
يلملم	يلملم	يلملم	يلملم	يلملم
ملكان	ملكان	ملكان	ملكان	ملكان
مكة	مكة	مكة	مكة	مكة

« الضميمة الثانية »

أسماء محطات الطريق الساحلى التى وردت فى بعض المصادر
دون المصادر الأخرى

الهمدانى	اليعقوبى	الأدريسى	ابن قدامة	ابن خرداذبة
—	—	خولان ذى سحيم	خولان ذى سحيم	خولان ذى سحيم
—	بيش	—	—	—
—	ريم	—	—	—
—	—	بيشة يقظان	—	—
—	—	—	بيشة	—
—	—	—	—	بيشة بعطان
—	يبه	—	يبه	يبه
—	—	—	ابن جاوان	بيشه ابن جاوان
—	—	الحسبة وتسمى اليوم بالأحسبة		الحسبة (الأحسبة)
—	—	بيشة حازان	—	—

« الحواشى والتعليقات »

(١) لمزيد من التفصيل عن بعض الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، انظر · أحمد رمضان أحمد · **الرحلة والرحالة المسلمون** (جدة : دار البيان العربى للطباعة والنشر ، د·ت) ؛ عبد المجيد الذويب « الجغرافيون العـــرب ودورهم فى التعريف بالجزيرة العربية » **مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثانى** ، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية فى ٥ ـ ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ الموافق ٢٣ ـ ٢٨ ابريل ١٩٧٧م ، قســـم التاريخ كلية الآداب ، جامعة الرياض ، ص ٢٨٥ ـ ٢٩٨ ·

(٢) ومن المدن التى أشار اليها ابن بطوطة على الساحل الشرقى للبحر الأحمر، مدينة حلى ، حيث ذكر من كان يسكنها من القبائل ، بل وأشار الى بعض العلماء الذين كانوا يسكنونها أثناء مروره بها ، كما تعرض لبعض الجوانب الاجتماعية فى تلك المدينة ، كذكر بعض الأطعمة التى كان يقتات بها السكان ، وبعض الألبسة التى كانوا يلبسون · انظر أبو عبد الله محمد ابن بطوطة · **رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار** ، تحقيق على المنتصر الكتانى ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) ج ١ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ؛ وللمزيد من التفصيل عن مدينة حلى ، انظر ، أحمد بن عمر الزيلعى · « المواقع الاســلامية المندثرة فى وادى حلى » **حوليات كلية الآداب ، جماعة الكويت** ، الحولية السابعة ، الرسالة (٣٩) (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ١١ ـ ١٩ ·

(٣) ولأهمية مادون الهمدانى عن بلاد السراة ، وبخاصة ما ذكـــر فى كتابه (صفة جزيرة العرب) فقد أفردنا لذلك بحثا مستقلا حول ما رأى وشاهد ، أثناء ذهابه وايابه فى تلك البلاد ، وسينشر هذا البحث فى أحد أعداد مجلة الدارة القادمة (ان شاء الله) ·

(٤) للمزيد من التوضيحات ، انظر · عبد الله بن عبد العزيز البكرى · **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، تحقيق مصطفى السقا ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٣٦٤هـ/٣٤٥) مج ١ ، ج ١ ، ص ٦ وما بعدها ؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى · **معجم البلدان** (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ج ٢ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، ٢١٨ ـ ٢٢٠ ؛ صالح أحمد العلى « تحديد الحجاز عند المتقدمين » **مجلة العرب** (١٣٨٨هـ/١٩٧٨م) ج ١ ، ص ١ ـ ٩ ؛ عبد اللـــه الوهيبى · « الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب » **مجلة كلية الآداب ، جامعـــة الرياض** (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) ج ١ ، ص ٥٣ ـ ٧٠ ·

(٥) ياقوت ، المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ ، جـ ٣ ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ، الوهيبى ، المصدر نفسه ·

(٦) انظر مقالتى العلى والوهيبى السابقتى الذكر فى ملاحظة (٤) ·

(٧) أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه · **كتاب البلدان** ، تحقيق ، أم دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤) ص ٣١ ـ ٣٢ ·

(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ·

(٩) المصدر نفسه ·

(١٠) زكريا محمد محمود القزوينى · **آثار البلاد وأخبار العباد** (بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ٨٩ ؛ ياقوت ، **معجم** ، جـ ٣ ، ص ٢٠٥ ·

(١١) شمس الدين أبو عبد الله المقدسى · **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** ، تحقيق ، ام · دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٧م) ص ١٠٤ ·

(١٢) جمال الدين يوسف بن المجاور · **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسمى تاريخ المستبصر** ، تحقيق ، أو · لو فغرين (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٥١ ـ ١٩٥٤م) جـ١ ، ص ٢٦ ·

(١٣) المصدر نفسه ·

(١٤) يبدو أن وجود المخازن المسماة فى بعض المناطق الاسلامية (بالآهـراء) أى صوامع الغلال ، هو المعمار الوحيد المنتشر فى البقاع الاسلامية لهذا الغرض ، لما امتاز به من حسن الموقع حيث يكون على مرتفع ، الى جانب حسن المناخ ، والبعد عن الأماكن الرديئة التهوية ، ولهـذا كانت الحبوب تدوم فيها مدة طويلة دون أن يصيبها العطب والفساد · والمتجول فى وقتنا الحالى ، بالمنطقة الواقعة بين نجران والطائف يلاحظ جميع القرى وبها حصون مختلفة الاحجام ، وأغلبها كانت تستخدم لخزن الحبوب المتنوعة لأفراد القرية ، مع العلم أن هـذه الحصون فى يومنـا هذا ، اصابها الخراب والدمار ، لأنها لم تعد تستخدم ، ولم تجد أيضا من يوليها الاهتمام ويحافظ عليها من الانهيار ·

(١٥) لقد عمل أهل السراة بما يمليه العرف القبلى ، فكان شيخ القبيـلة من كبار السن الذين يتمتعون بتجربة واسعة فى الحياة ، وما المثل العربى القائل عن مثل هذه الشخصية « حلب الدهر أشطره » الا دليل واضح على حسن الاختيار ·

(١٦) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، جـ ١ ، ص ٣٧ ·

(١٧) ميناء السرين من الموانى النشيطة على الساحل الشرقى للبحر الأحمر ،

ويقع الى الجنوب من مكة المكرمة بحوالى خمس مراحل · وللمزيد من التفصيل عن هذا الميناء · انظر أحمد عمر الزيلعى · **مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠٦ - ٤٨٧ هـ)**· (الرياض : عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض ، ١٩٨١م) ، ص ١٨٤ - ١٨٦ ·

(١٨) ابن المجاور ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٣ ·

(١٩) وللمزيد من التوضيح عن مدينة حلى ، انظر · الزيلعى « المواقع الاسلامية المندثرة فى وادى حلى » ص ١١ وما بعدها ·

(٢٠) لمزيد من التفصيل عن السلطان طغتكين بن أيوب ، وبخاصة عندما عين سلطانا على بلاد اليمن فى عهد أخيه صلاح الدين الأيوبى عام (٥٧٩ هـ) ، انظر · القاضى عبد الله بن عبد الكريم الجرافى · **المقتطف من تاريخ اليمن** (بيروت : منشورات العصر الحديث ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ١٢٩ - ١٣١ ؛ محمود كامل · **اليمن شماله وجنوبه ، تاريخه وعلاقاته الدولية** (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٨م) ص ١٨٠ - ١٨٤ ·

(٢١) ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٥٣ - ٥٤ ·

(٢٢) المقدسى ، **أحسن التقاسيم** ، ص ٨٦ ·

(٢٣) المصدر نفسه ·

(٢٤) المصدر نفسه ·

(٢٥) المصدر نفسه ·

(٢٦) انظر · أبو معين الدين ناصر خسرو · **سفر نامه (رحلة ناصر خاسرو)** ترجمه من الفارسية وحققه ، أحمد خالد البدلى (الرياض : عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود ، ١٩٨٣ م) ص ١٤١ - ١٤٢ ·

(٢٧) المصدر نفسه ·

(٢٨) ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٥٢ ·

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٥٤ ·

(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٥٦ ·

(٣١) انظر ، المقدسى ، **أحسن التقاسيم** ، ص ٨٧ ؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى · **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق ، محمد بن على الأكوع الحوالى (الرياض : دار اليمامة لبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٦٠ ·

(٣٢) أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى · **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** ، تحقيق رشدى ملحس ، ط ٤ ، (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ؛ ناصر خسرو ، **الرحلة** ، ص ١٣٦ ؛ ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، جـ ١ ، ص ٥ ـ ٦ ·

(٣٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٧ ، ومثل هذه العادة لازالت مألوفة بين بعض السكان فى الأجزاء التهامية والسروية ، وبخاصة عند كبار السن من الرجال ·

(٣٤) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٥ · وهذه العادة أيضا لازالت تمارس عند بعض الاسر والعشائر والآفخاذ الساكنة فى البلاد السروية والتهامية على وجه العموم·

(٣٥) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٦ · ومن يتجول في بلاد السراة أو تهامة فى وقتنا الحالى يجد اسماء لكثير من الأسر ، وبخاصة أجدادهم الأوائل ، وسيجدها على منوال ما ذكر ابن المجاور ، بل ويجد أسماء مستمدة من أسماء الطبيعة ، كحجر ، وفارس ، وعصفور ، وريحان وغيرها من أسماء الرجال · أما أسماء النساء فمنها ريحانة ، وعصفورة ، وعفارة ، وضرمة وعطرة وغيرها من الأسماء · ويا حبذا ان يتصدى أحد الباحثين فى المنطقة لمثل هذه الأسماء وغيرها فيدرسها مع تتبع جذورها من العهود القديمة ، ثم أيضا يدرس علاقتها بالسكان والبيئات التى تستخدمها ·

(٣٦) ابن المجاور ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ ·

(٣٧) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، ولازال الكرم صفة حميدة بين أهالى بلاد تهامة والسراة الى وقتنا الحالى ·

(٣٨) للمزيد من التفصيل عن شيخ القبيلة ودوره فى المجتمع منذ العصر الجاهلى ، انظر · جواد على · **المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام** (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م) جـ ٤ ، ص ٥ ـ ٢٧١ ، جـ ٥ ، ص ٢٥٣ ـ ٣٣٣ ·

(٣٩) للمزيد من التوضيح عن ولاة الحجاز وكيف كان بعضهم يعين من قبل الخليفة الأموى أو العباسى فى كل من اليمامة والحجاز واليمن ، وأحيانا بلاد البحرين ، انظر · تقى الدين محمد الفاسى · **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، تحقيق لجنة من كبار العلماء ، (بيروت : دار الكتب العلمية د·ت) جـ ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها ، انظر أيضا :

G.A. Jrais
"The Governorshop in the Hijaz During the Early Abbasid Period. Ages (مجلة العصور) Vol. (7) January, 1992.

(مجلة المؤرخ العربى)

(٤٠) والكورة ، أو المخلاف ، أو العمل جمع أعمال ، تساوى ما يسمى اليوم بالمحافظة ، أو الامارة ، وكانت ولازالت تسمى فى المغرب بـ (الحوز) وفى الجزائر بـ (العمالة) ٠

(٤١) أحمد بن يعقوب اليعقوبى ٠ كتاب البلدان ، تحقيق ، أم٠ دى غوى (ليدن: مطبعة بريل ، ، ١٢٨٩٢م) ص ٣١٦ ٠

(٤٢) المصدر نفسه ، ص ٣١٦ ، ٣١٨ ٠

(٤٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨ ٠

(٤٤) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن حرداذبة ٠ **كتاب المسالك والممالك ، تحقيق** ، ام٠ دى غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م) ص ١٣٣ ٠

(٤٥) المقدسى ، **أحسن التقاسيم** ، ص ٦٩ ـ ٧٠ ، ٨٨ ٠

(٤٦) محمد بن محمد بن عبد الله الادريسى ٠ **كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق** (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) جـ ١ ، ص ١٤٥ ٠

(٤٧) انظر ، الفاسى ، **شفاء الغرام** ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها ٠

(٤٨) ولمزيد من التفصيلات عن اتصال أهل تهامة والسراة بأسواق مكة ، انظر٠ الأزرقى ، أخبار مكة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ؛ محمد بن أحمد بن جبير ٠ **رحلة ابن جبير** (بيروت : دار الكتب د٠ت) ص ١٠٢ وما بعدها ٠

(٤٩) ناصر خاسرو ، **الرحلة** ، ص ١٣٦ ٠

(٥٠) ابن جبير ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٢ ـ ١٠٥ ٠

(٥١) ابن المجاور ، **المصدر السابق** ، جـ ١ ، ص ٢٧ ٠

(٥٢) انظر ابن بطوطة ، **الرحلة** ، جـ ١ ، ص ١٥٢ ٠

(٥٣) للمزيد من التفصيلات عن توافر الحبوب والخيرات فى بلاد تهامة والسراة، انظر : عرام بن الأصبغ السلمى : **كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها** ، تحقيق ، عبد السلام هارون (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) ص ٤١٧ ، ٤٢٠ ـ ٤٢١ ؛ القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٨٩ ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص ١٠٤ ؛ ياقوت ، معجم ، جـ ٣ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ ـ ٢٧ ٠

(٥٤) الهمدانى ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، ابن جبير **الرحلة** ، ص ١٠٤ ، القزوينى ، **آثار البلاد** ، ص ٨٩ ٠

(٥٥) **المسالك والممالك** ، ص ١٣٤ ـ ١٣٦ ، ١٤٨ ـ ١٤٩ ٠

(٥٦) أبو الفرج قدامة : **نبذ من كتاب الخراج** ، ضمن كتاب المسالك والممالك لابن حرداذبة ، تحقيق ، ام٠ دي غوى (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩ م) ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ، ١٩٢ ـ ١٩٣ ٠

(٥٧) أبو اسحاق الحربى٠ **كتاب « المناسك » وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة** ، تحقيق حمد الجاسر ، (الرياض : دار اليمامة لبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ٠

(٥٨) **البلدان**، ، ص ٣١٧ ٠

(٥٩) **صفة جزيرة العرب** ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤١ ٠

(٦٠) **أحسن التقاسيم** ، ص ١١١ ـ ١١٢ ٠

(٦١) **نزهة المشتاق** ، جـ١ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٨ ٠

(٦٢) أجمعت المصادر على ذكر أغلب المحطات التى تقع على الطريق الجبلى السروى ، أما الطريق الساحلى فقد ذكرته بعض المصادر ، لكن ظهر بعض الاختلاف فى ذكر اسماء بعض المحطات على تلك الطريق ، ولهذا الأمر الحقنا بالبحث ضميمتين ، الاولى تبين أغلب أسماء المحطات التى وردت فى المصادر التى استقينا منها بحثنا حول هذا الطريق ، والثانية تبين اسماء المحطات التى وردت فى بعض المصادر دون المصادر الأخرى ٠

(٦٣) الهمدانى : **المصدر السابق** ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ٠

(٦٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤١ ٠

(٦٥) ابن خرداذبة ، المسالك ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ٠

(٦٦) وطلحة الملك لازالت الى يومنا هذا تعرف باسم قرية طلحة ، وتقع فى الأجزاء الشرقية من ظهران الجنوب فى بلاد قحطان ، والى الشمال من مدينة نجران ٠

(٦٧) قدامة ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ٠

(٦٨) الادريسى ، **نزهة المشتاق** ، حـ ١ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ٠

(٦٩) وقد يعود رخاء هذه المدن الى موقعها التجارى ، وكثرة القادمين اليها ، لبيع سلعهم ، أو لشراء سلع منها ، أو للمبيت فيها ، والانفاق طيلة اقامتهم بها ٠ وبعض هذه المحطات مثل (بيشة ، ورنية ، وتربة ، وغيرها) مازالت الى يومنا هذا تؤدى خدماتها للمارة بها ، وكلما تحسنت خدماتها ، كلما أدى الأمر الى ازدهارها ٠

(٧٠) للمزيد من التفصيل عن أحوال البريد خلال العصر العباسى وما جرى عليه من اصلاحات ، انظر · حسن إبراهيم حسن · **تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى** (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م) ج ٢ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧١ ·

(٧١) والأمر الذى يجعلنا نجزم بأن تلك الطريق حظيت ببعض الاصلاحات ، وبخاصة ، خلال العصور العباسية الأولى ، هو ما بذله خلفاء بنى العباس الأوائل فى اصلاحات بعض الطرق الأخرى ، كطريق العراق الحجاز ، أو طريق العراق الشام الحجاز أو غيرها ، ثم ان بلاد اليمن كانت من الأجزاء المهمة لدى خلفاء بنى العباس الأول لتكون تحت حوزتهم فكانوا يرسلون اليها الولاة وغيرهم من موظفى الدولة ، بل ويسعون الى قمع أى ثورة تظهر فيها ، وربما نتج ذلك الاهتمام عن حرصهم على ضم شمل دولتهم ، بل وعن معرفتهم بغنى أرض بلاد اليمن وما بها من خيرات قد تعود زكاتها وجبايتها الى بيت مال المسلمين فى بغداد ·